



خمس سنوات والنظام السوري في حرب مسحورة على جميع مكونات سوريا، أسفرت حربه عن كوارث على غير صعيد: على صعيد النظام وحلفائه:

● يعاني حالة غير مسبوقة من التدهور، إذ تتنامي مشاعر السخط لدى الطائفة العلوية نتيجة لارتفاع عدد القتلى في صفوفها، ويتضاعد التذمر في صفوف الضباط العلويين من سلوك القيادة الإيرانية الجديدة (اللواء قاسم سليماني) التي تعاملهم بعنجهية واحتقار، واتهامهم بالتوافق مع المعارضة ومع إسرائيل! كما بدأ الكثير من حلفاء النظام يشعرون بأن النظام يفقد السيطرة على الوضع في البلاد.

على الصعيد الاقتصادي:

● هناك ترد اقتصادي شامل وأنهيار عام في البنية التحتية! على الصعيد العسكري:

● أكدت دراسة لمعهد «دراسات الحرب» أن جيش النظام قد تقلص إلى الثلث، مما أضطر النظام إلى إجراء تعديلات سياسية في تشكيله التقليدية لصالح الميلشيات الإيرانية، وأصبحت جميع تشكيلات جيش النظام مختلطة (تضم عناصر لبنانية وعراقية وإيرانية).

على صعيد الثورة:

● تشهد الثورة السورية تحولات عميقة، إذ تمكن الثوار من انتزاع زمام المبادرة من جديد، فانقلبت بعض الموازين وتبعت المعدلات نوعاً وكما، في الجبهة الشمالية بادر الثوار بتشكيل جيش الفتح (اتحاد عسكري بين سبعة فصائل سورية مقاتلة) وكانت أول عملية «تحرير إدلب»، تلتها بـ«غزوة النصر» لتحرير جسر الشغور، ثم اتجهت المعارضة إلى جبهة القلمون فأعلنت عن فتح معركة «الفتح المبين» لتحرير القلمون وتشكيل «تشكيل قيادة موحدة للفصائل باسم «واعتصموا بحبل

• وفي جبهة الجنوب/ درعا: فمنذ بداية عام 2015 أطلقت كبرى التشكيلات العسكرية الثورية ثلاثة معارك على مساحة تتجاوز عشرة كيلومترات على أرض حوران، كان منها معركة «ادخلوا عليهم الباب» لتحرير مدينة الشيخ مسكون ومحيطها والسيطرة على حاجز ضخمة للنظام، أنجز فيها الثوار انتصارات مهمة وتمكنوا من تحرير مدن ومناطق عديدة والسيطرة على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر.

كان لهذه الانتصارات تداعياتها على غير صعيد، منها:

• الانهيار السريع لقوات النظام، وتراجع سيطرته إلى أقل من 25% من جغرافية سوريا، فضلاً عن هزيمة نفسية لجنوده ومؤيديه، وما نشأ عنه من إخراج سياسي للنظام، إذ أبطل كل مزاعم السيطرة على مقايليد الدولة التي دأب على ترويجها على مدى سنوات الثورة! وبات مستقبل النظام السوري كله على المحك.

• عادت للتداول سيناريوهات "المناطق العازلة"، و"تطبيق حظر الطيران"، و"تشكيل حكومة مؤقتة" على أرض سوريا «محررة».

أما عن الدروس المستفادة من هذه المرحلة الثورية الجديدة:

• أن وحدة الثوار وتعاونهم هو السبيل الوحيد لتحقيق الانتصارات وهي التي وضعت نظام الأسد على حافة الهاوية.

• تشير المعطيات على الأرض، شماليًّاً وجنوبيًّا، إلى أن هناك تغييرًا في المعادلات الإقليمية، وأن مخططات إيران التوسعية في المنطقة قد أخذت بالانحسار!

• أن الانتصار الميداني يجب أن يستمر سياسياً، على أن تكون نقطة البداية ببناء الوحدة الثورية وربط جميع الفصائل المسلحة بجسم سياسي واحد، وأن تدور ماكينة البناء والإعمار والتنمية.

أما عن فزاعة «الإرهاب وال الحرب عليه» فقد آن الأوان أن يدرك المجتمع الدولي أن مصدر الإرهاب في المنطقة هو بقاء أنظمة وحشية فاسدة كنظام «الأسد» في السلطة (ولنا في نظام علي صالح في اليمن عبرة، إذ فشلت كل محاولات غسله وإعادة تأهيله)، فالإرهاب هو المعادل الطبيعي لحكم سلطوي فاشي فاسد وفاشق، يستبيح الحريات، ويدمر الكرامة الإنسانية، وينشر ثقافة البلطجة والإرهاب، ويهدد السلم الأهلي، ويفقد المجتمع قدرته على تحقيق الأمن الاجتماعي.

ولابد من أن يدرك الجميع أن طريق الثورات لم تكن يوماً مفروشة بالورود، بل كانت وستظل صراع وجود، فعندما يتساوى الموت مع الحياة ينفجر الغضب المكبوت، وعندها وبالتأكيد «سيهزم الجموع ويولون الدبر»، وستنتصر سوريا العظيمة «شعباً وثورة»!